النوبة والمحاولات الاسلامية لفتحها

فيما بين عامي (٢٠ - ٣١ هـ / ٦٤١ - ٦٥٢ م)

دكتور / محمد عبد العال أحمد

النوبة والمحاولات الاسلامية لفتحها فيما بين عامي (٢٠ - ٣١ هـ / ٦٤١ - ٦٥٢ م)

دكتور محمد عبد العال أحمد

النوبة ، طائفة من طوائف السودان ، تنتسب الى نوبى ابن قفط بن مصر بن نيصر بن حام بن نوح[١] وقيل أنهم ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام [٢] ويزعمون أنهم من نسل حمير .[٣]

وتقع بلاد النوبة الى الجنوب من مصر ، وكانت تضم المناطق الممتدة على طول جانبى النيل فيما بين الشلال الأول عند أسوان شمالا ، الى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق[٤] أى الى مدينة الخرطوم الحالية جنوبا .

وتضم هذه المنطقة ثلاثة أقاليم رئيسية مختلفة ، تتصل فيما بينها من الشمال الى الجنوب على النحو التالى :-

- اقليم النوبة السفلى (الشمالية) ، ويشمل المنطقة الواقعة فيما بين الشلال الأول شمالا ، الى وادى حلفا جنوبا والنهر فيه صالح للملاحة لاستقامة مجراه وانعدام العوائق فيه[٥]

---

(١) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ليبزج ١٩٢٨ ، ص ٢٦٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، طبع بيروت ، ج ٢ ص ١٩٨ .
(٣) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤.
(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، النجف ١٣٥٨ هـ ، ج ١ ص ١٩١
المقريزى : الخطط ، بولاق ١٢٧٠هـ ، ص ١٩١ ومابعدها .
(٥) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ١٩٥١ ، ص ٣٨٥ .

- اقليم النوبة الوسطى ،ويحتل منطقة الوسط فيما بين وادى حلفا شمالا الى دنقلة جنوبا ،وهى منطقة صخرية وعرة ، والنهر هنا غير صالح للملاحة فى معظم أجزائه ،لكثرة الجنادل والصخور التى تعترض مجراه الضيق . أما الوادى فمرتفع عن مستوى النهر ،ولذلك أعاق امكانية تسرب المياه الى معظم الأراضى الواقعة على جانبى المجرى ، بالاضافة الى انعدام الأمطار فى تلك المنطقة ، مما جعلها صحراء جرداء باستثناء ذلك الشريط الضيق القريب من مجرى النهر (١)

- اقليم النوبة العليا (الجنوبية) ، ويقع فى أقصى الجنوب ، ويمتد فيما وراء دنقلة حتى التقاء النيلين الأبيض بالأزرق جنوبا . والنهر فى تلك المنطقة معتدل المجرى، متسع الوادى ، صالح للملاحة ، تغمر المياه معظمه أيام الفيضان . ويعد هذا الاقليم من أخصب المناطق .(٢)

وقد تداول على حكم تلك المناطق عدد من الدول التى ارتبطت بشكل أو بآخر بعلاقات لاسيما مع مصر منذ القدم، وتعتبر دولة كوش من أهم تلك الدول التى حكمت بلاد النوبة .

أما عن العوامل التى أدت الى قيام دولة كوش ،فترجع الى ماكان من غزو الليبيين لمصر نحو منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وتولى ملكهم شاشانق الأول حكم مصر . ونتيجة لذلك اضطرت جماعة من سلالة كهنة آمون الى مغادرة طيبة والتوغل جنوبا ، حيث تمكنوا من اقامة دولة كوش فى منطقتى

---

(١) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ،١٩٦٥،ص ٢٨٥.
(٢) محمد عوض محمد : نهر النيل ، الطبعة الأولى ،ص ١٢٢ وما بعدهما

النوبة الوسطى والعليا ،[١] واتخذوا مدينة نباتا [٢] عاصمة لدولتهم . وعلى ذلك تكون تلك الدولة مصرية التأسيس ، نوبية المنشأ .

وقد تركزت جهود حكام كوش من أجل اخراج الليبيين من مصر ، فلما تحقق لهم ذلك ، نقلوا مركز دولتهم الى مصر ، واتخذوا من مدينة طيبة عاصمة لهم . وهكذا بدأ حكم الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر .

لم يمض غير نصف قرن (٧١٥ - ٦٦٣ ق.م) حتى اضطر ملوك تلك الأسرة الى اتخاذ نباتا مرة أخرى عاصمة لهم ، بعدما استولى الآشوريون على مصر .[٣]

ومع بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، بدأت نباتا تفقد أهميتها بسبب انتقال ملوك كوش الى مروى[٤] واتخاذها عاصمة لهم ، فاحتلت مروى مكانتها وحافظت على كيانها نحو ستة قرون ونصف ، أى الى عام ٣٥٦ للميلاد ، وبلغ من شهرة مروى أن صار اسمها علما على الدولة .

---

(١) أى المنطقة الواقعة فيما بين وادى حلفا شمالا والنيل الأزرق وكردفان جنوبا Arkell, A History of the Sudan to A.D. 1821, London., 1955, PP. 112F.
وانظر : نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، ١٩٦٢ ، جـ ٢ ص ٣٠٨ ومابعدها .

(٢) تقع نباتا بالقرب من الشلال الرابع عند سفح جبل البركل (مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ١٩٦٠ ، ص ٤ ومابعدها .

(٣) دريوتون وفانديه : مصر ، ترجمة عباس بيومى ١٩٥٠ ، ص ٥٩٧ ومابعدها .

(٤) تقع مروى القديمة بالقرب من كبوشية الحالية ، أما مروى الجديدة فتقع بجوار نباتا .

ومما يذكر ، أن النوبة السفلى كانت قد دخلت فى اطار دولة كوش ، وان تمتعت بنوع من الاستقلال الى أن حدث نزاع بين أحد ملوكها وبين كهنة نباتا ،فانتقل الملك الى النوبة السفلى ، واتخذ من مدينة دكة عاصمة له ، وارتبط بعلاقات ودية مع البطالمة فى مصر ، فلما كان عهد بطليموس السادس (١٨١ - ١٤٥ ق.م) استولى البطالمة على النوبة السفلى وظلت تابعة لهم الى أن استولى الرومان على مصر البطلمية سنة ٣٢ ق.م ، وعندئذ تمكن الكوشيون من استعادة نفوذهم على النوبة السفلى .(١)

وباحتلال الرومان لمصر ، واستعادة الكوشيين للنوبة السفلى ، دخل الكوشيون فى صراع ضد الرومان ، وتوالت اغاراتهم على جنوب مصر(٢) وتتابعت الحملات الرومانية لتأديب الكوشيين ، ووصلت حملاتهم فى أعماق النوبة الدكة وابريم ونباتا .

لم تؤد تلك الحملات الى تحقيق الهدف فى وضع حد لاغارات النوبيين ، نظرا لبعد قوات الرومان الى قواعدها بعد كل حملة ، لذلك تركزت جهود الرومان على ضرب دولة كوش واضعافها ، عن طريق الارتباط بدولة أكسوم ،والعمل فى نفس الوقت على تعزيز الحاميات الرومانية على حدود مصر الجنوبية . كما أقام الرومان قلعة حصينة هناك ،ونقلوا

---

(1) Budge, The Egyptian Sudan Its History and monuments, London , 1907 vol . II p. 166

(2) Budge, op . Cil ., p 175.

سكان الواحة الخارجة الى منطقة النوبة السفلى لتكون منطقة عازلة ويتولى المستوطنون الجدد التصدى للاغارات النوبية . كما قرر الرومان قدرا من المساعدات لكل من المستوطنين الجدد والسكان الأصليين ، مما ساعد على هدوء الموقف واستقرار الأوضاع ، وتوقف الاغارات النوبية ، ولكن الى حين .(١)

وأيا ماكان الأمر ، فقد لجأ الرومان فى عهد الامبراطور قسطنطين الأول الى توطيد العلاقات مع الملك عيزانا ملك أكسوم ، وعقد معه معاهدة تجارية (٢) كما كان لاعتناق عيزانا المسيحية سنة ٣٤٠ م أثره فى اقبال رعاياه على اعتناقها وانتشارها فى بلاده ، وبايعاز من الرومان قام حليفهم عيزانا بمحاربة الكوشيين ، واكتسح بلادهم وقضى على دولتهم وعلى الأسرة الحاكمة فيها .(٣)

---

(1) Bury, History of the later Roman Enpire, london , 1889, vol. II, 318.

(2) Bury, op. cit.p.318, Paul, A History of the Beja Tribes of the Sudon, Camb. 1954, P.47, Trimingham, Islam in the Sudan, London, 1949, P.49.

(3) Shinnie, The fall of Merde , Kush, vol 111, (Sudan Antiquities Service Occasional papers) 1955, p. 83ff.

لم تكتف دولة كوش بتحدي الرومان عن طريق تنظيم الاغارات على جنوب مصر،بل وباعتراض حركة الملاحة التجارية فى منطقة النوبة السفلى عبر النيل الى مناطق وسط افريقية ، وبالتصدى لتيارالتبشير ،مما أدى الى فشل المحاولات الرامية الى ادخال تلك الدولة فى المسيحية ،ولذ لجأ الرومان الى الايعاز لملك اكسوم بمحاربة الكوشيين والقضاء على دولتهم . مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤ - ٣٤ .

وبسقوط دولة كوش (مروى) ، وبمرور الزمن ، قام على أنقاضها ثلاث ممالك وهى من الجنوب الى الشمال : مملكة علوة ومملكة مقرة ، ومملكة نباتا .

مملكـــة علـــــوة :

وتمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض والأزرق ،عنـد مدينة الخرطوم الحالية جنوبا ، الى اقليم الأبواب[1] شمالا وعاصمتها مدينة سوبة [2] وكانت تعرف أيضا بمملكة ســوبـا ، نســبة الى عاصمتهـــا .[3]

وكانت هذه المملكة من أوسع ممالك النوبة وأخصبهـــا وأكثرها مالا وثراء وأعظمها جيشـــا .[4]

---

(١) يقع اقليم الأبواب بالقرب من مروى القديمة ويذكـــر المقريزى : أن هذا الاقليم ،هو أول بلادعلوة من الجهة الشمالية ،وهو من أهم أقاليمها ،ويشتمل على عدة قرى على الشاطئ الشرقى للنيل . وكان والى هذا الاقليم من قبل صاحب علوة يلقب بالدرجراج (الخطط ، ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢) وكان يتمتع بمكانة كبيرة [illegible] عن الدفاع عن الحدود الشمالية [illegible]

(٢) تقع مدينة سوبة على [illegible] الكبرى [illegible] من الخرطوم الحالية (الخطط ، [illegible] والنوبة ،ص ٧٩) .

(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ١٩٥٣ ، ص ٢٥ .

(٤) أبو صالح الأرمنى : تاريخه ١٨٩٤ ،ص ١٢٠ ، المقريـــزى الخطط ، ج ١ ص ١٩٣ ،
عبد المجيد عابدين : نفس المرجع والصفحة .

مملكـــة مقـــــرة : (١)

وتقع فى المنطقة الوسطى ، وتحدها جنوبا مملكة علوة ، وشمالا مملكة نباتا . أى فيما بين كبوشية (٢) جنوبا الـــى قرب الشلال الثالث شمالا ، وعاصمتها دنقلة ولذلك كانت تسمى مملكة دنقلـــــة (٣).

مملكـــة نبـــاتـــــا :

وهى المملكة الشمالية ، وتقع فيما بين مملكة مقـــرة ومصر ، وتمتد فيما بين الشلال الثالث جنوبا الى قريـــــة القصر (٤) بالقرب من أسوان شمالا ، وعاصمتها نجراش (٥).

وتنقسم كل مملكة من هذه الممالك الى مقاطعات أو ولايات لكل منها حاكم يلقب بالملك ، ويخضع للملك المستقر فـــى العاصمة ، أى لملك الملوك الذى يتمتع بسلطات مطلقـــــة ، ولايعصى رعاياه له أمرا ، فهو مالك رقابهم جميعا (٦).

---

(١) قال المقريزى : أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين (الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩١) Budge,op.cit., Vol.II,p.164

(٢) تقع كبوشية بالقرب من مروى القديمة .

(٣) سيد العابدين : تاريخ الدولة العربية فى السودان ، ص ٢٥ .

(٤) قال المقريزى نقلا عن عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى أن قرية القصر هى أول بلاد النوبة ، وهى على خمسة أميال جنوبى أسوان ، وبينهما وبين جزيرة بلاق (فيلة) =آخر حصن للمسلمين بمصر - ميل واحد . (الخطط ،جـ١ ص ١٩٠).

(٥) نجراش أو بجراس أو باخوراس أو مريس ، وهى فرس الحالية بالقرب من الشلال الثانى على نحو عشر مراحل من أسوان (المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٢ ، مصطفى محمد مسعد: الاسلام والنوبة ، ص ٣٤ عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ص ٢٥) .

(٦) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ١٣٤٦ هـ،جـ١ ص٤١.

ويقضي نظام وراثة العرش بأن يكون ذلك حقا لابن الاخت بعد وفاة الملك ، وليس للابن أن يرث عرش أبيه ، قال ابن حوقل : أن من سنة السودان اذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل[1] ، الا اذا لم يكن له ابن أخت ، فحينئذ يكون من حق الابن أن يخلف أباه على عرشه (٢).

واذا كانت دولة كوش قد اتخذت موقفا معاديا للرومان وتصدت لتيار المسيحية ، فان الممالك الثلاث التي قامت على أنقاضها قد تبنت نفس السياسة ، الا أن الرومان لم يفقدوا الأمل في امكان التعامل مع تلك الممالك ، وخاصة بعد أن فقدت المنطقة العازلة - التي أقامها الرومان في عهد دقلديانوس - ملاحيتها ، ولم تعد محققة للغرض الذي أنشئت من أجله ، نتيجة استئناف النوبيين الاغارات على المعاقل الرومانية في جنوب مصر ، واستيلائهم سنة ٤٢٩م على الواحة الخارجة ، ومعاونتهم للعناصر المصرية ضد الرومان. ومع كل ذلك لم يعدم الرومان وسيلة لاحتواء النوبيين ، اما بالاعتراف بمعتقداتهم الدينية والسماح لهم بالوصول الى فيلة لاقامة شعائرهم الدينية فيها ، أو بمنح بعض زعمائهم الاقطاعات في مصر ، ابتغاء مرضاتهم ، وتفادي مخاطرهم ، وضمان وقف غاراتهم ، وتأمين الحدود من جهتهم ، وتنشيط الحركة التجارية عبر أراضيهم الى وسط افريقية ، مع التركيز على اغرائهم لاعتناق المسيحية (٣) .

---

(١) صورة الأرض ،ص ٥٦ .
(٢) أبو صالح الأرمني : تاريخه ، ص ١٢٥ .
(٣) مصطفى مسعد : نفس المرجع ،ص ٣٦ - ٣٩ .

أسفرت الجهود الرومانية عن تقبل البعض للمسيحية وخاصة فى المدن والقرى الكبيرة ، وأصبح هؤلاء بمثابة عناصر موالية ، ولذلك شجعهم الرومان لاستكمال نشر المسيحية وحرضوهم على مقاتلة الوثنيين من أبناء جلدتهم ،لاجبارهم على اعتناق المسيحية بالقوة (١). وتحويل معابدهم الى كنائس بالاضافة الى ما أنشأوه فى كثير من المدن كدنقلة وابريم وفرس وغيرها من المدن الممتدة فيما بين الشلال الأول الى القطينة على النيل الأبيض جنوبا ، حتى قيل انه بلغ من كثرتها ، أن صار فى مملكة علوة وحدها أربعمائة كنيسة (٢) وتنافست كنيستا الاسكندرية والقسطنطينية على نشر المسيحية ، ونجحت كنيسة الاسكندرية فى اكتساب ملك نباتا سنة ٥٤٣م ، وملك علوة سنة ٥٨٧ م اذ اعتنقا المسيحية على مذهب كنيسة الاسكندرية اليعقوبى (٣). أما ملك مقرة فقد اعتنقها سنة ٥٦٩م على مذهب القسطنطينية الملكانى ، وهذا يعنى أن المذهب اليعقوبى كان أكثر انتشارا (٤).

ومما تجدر الاشارة اليه أن أثر المسيحية اقتصر فى معظمه على المدن والقرى الكبيرة ، وأن ذلك الأثر لم يكن كبيرا ، لأن معظم من اعتنقها من النوبيين ظلوا على تمسكهم بالعادات والتقاليد الوثنية ، كما كان معظم

---

(١) Budge, op. cit., P. 293
(٢) أبو صالح الأرمنى : تاريخه ، ص ١٢٠ .
(٣) ابن الفقية : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ ، ص ٢٧ ،
المسعودى : التنبية والاشراف ، ليدن ١٨٩٤ ، ص ١٥١ ،
المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١٩٣ .
(٤) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٥٥ - ٦٥ .

النوبيين وقت الفتح الاسلامى لمصر ، لايزالون على وثنيتهم[١] .

وتجدر الاشارة الى اندماج مملكتى نباتا ومقـــــرة المتجاورتين فى مملكة واحدة عرفت باسم مملكة مقـــــرة أو مملكة النوبة ، وشملت المنطقة من الشلال الأول شمالا ، الـى حدود مملكة علوة جنوبا[٢] ، حيث جزيرة ساى ومدينة كورتى[٣] واتخذت مدينة دنقلة عاصمة لها[٤] . ولا شك أن حدوث هـــذا الاندماج رغم الاختلاف المذهبى بينهما يدل على عدم تأثيـــر المسيحية على أهل النوبة ، أو أنه يمثل تفوقا للمذهـــب اليعقوبى فيها[٥] ، بسبب تلاشى المذهب الملكانى شيئا فشيئا وخاصة بعد الفتح الاسلامى لمصر ، وزوال النفوذ البيزنطـــى تبعا لذلـــك .

---

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١ ، ص ٣٣٦ ،
الاصطخرى : المسالك والممالك : القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٢ ،
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، ج ١ ص ٩٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر (بيروت ١٩٧٠) ج١ ص ١٣٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٦ Trimingham,op.cit., P. 59.

(٣) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيـــة ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٠٨ .

(٤) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر،ليبزج ، ١٩٢٨ ، ٢٦٨ ، المقريزى : نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٢ ، (دنقلة مدينة عظيمة ببلاد النوبة ، وهى منزل ملكهم) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٩ (وهى غير دنقلة الحالية ، التى تقع الى الشمال منها بنحو مائة ميل) سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٧٦ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .

(٥) الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٦٩ ، القزوينى : آثـــار البلاد ص ٣٩ ، ابن الفقيه : كتاب البلدان ، ص ٧٧ ، المسعودى : التنبيه والاشـــراف ، ص ٥١ .

وقد قسمت هذه المملكة اداريا الى ثلاثة عشر اقليما ، ويلقب حاكم كل منها بالملك [١] . ويخضع هؤلاء الحكام أو ملوك الأقاليم لكبير الملوك في دنقلة ، ومن ألقابه ملك النوبة أو ملك الملوك ، وعرفه العرب باسم عظيم النوبة [٢] ، وحكمه نافذ في رعيته ويده مطلقة فيهم ، ومن حقه أن يسترق من شاء منهم ، وله أن يتصرف في أموالهم [٣] .

ويعتبر حاكم اقليم مريس - المجاور لحدود مصر - من أهم ولاة الأقاليم ، وكان يعرف بصاحب الجبل ، ويقع عليه عبء حماية الحدود الشمالية ، والدفاع عنها ضد أي غزو خارجي [٤] . ولذلك كان يتم اختياره من بين من يتصفون بالحزم والشدة والبأس ، وكان مقرة مدينة نجراش (فرس الحالية) . وكان دائم التنقل الى المدن الأخرى التابعة لاقليمه لتفقد أحوالها أو اقامة التحصينات العسكرية لحماية منطقته ، وتأمين الحدود الشمالية للدولة [٥] .

ومما لاشك فيه أن بلاد النوبة ارتبطت بمصر بروابط قوية منذ ربط النيل بينهما .وكان لتلك الروابط آثارها البارزة في كثير من النواحي التجارية والدينية والحضارية . واذا كانت العلاقات قد اتخذت في كثير من الأحيان مظهرا عدائيا ، تمثل في الاغارات على حدود مصر الجنوبية ، فان

---

(١) المقريزي : نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠٠ .
(٢) المقريزي : نفس المصدر والصفحة .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١١ص ٢٤٧ ، القزويني : نفس المصدر ، ص ٢٥ .
(٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٣٠٨ .
(٥) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨١ ، مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٣ - ٨٥ .

ذلـــك فى حد ذاته يمثل دليل رغبة مؤكدة للاتصال ،وتمسك بتحقيق استمرار الروابط ، ويوضح ذلك مدى حاجة النوبـــة لمصر ، تسعى اليها ولو عن طريق الاغارات ، عندما تحتـــم ظروف مصر الداخلية توقف تلـــك الاتصالات . وهذه هـــى طبيعة الدول المتجاورة ، لاتقف الحدود عقبة فى ســـبيل استمرار العلاقات بينهما ، وخاصة اذا كانت احداها أرقـــى حضاريا ، فان توقف اشعاعها الحضارى لأى سبب من الأســـباب يكون دافعا للدول المجاورة ـ التى افتقدت ذلك المد الحضارى الى السعى لاستمرار الاتصال بأى وسيلة ، ولو كانت ذات مظهر عدائى كالاغارات المتكررة ، وكان ذلك هو موقف النوبـــة مع مصر الى حين الفتح الاسلامى لمصـــر .

أما عن العلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد النوبـــة ، فهى تدخل فى اطار العلاقات العربية الافريقية . فقد ارتبطت المناطق الواقعة على جانبى البحر الأحمر بعلاقات قديمـــة ، ولم يكن هذا البحر حائلا أمام الاتصال بين جزيرة العـــرب وساحل افريقية الشرقى ، فقد تمرس العرب ، وخاصة فى جنـــوب الجزيرة ، فكانوا على درجة كبيرة من الخبرة البحريـــة ، بحكم نشأتهم فى الموانى الممتدة على طول سواحل تلك البلاد وتحكمهم فى طرق تجارة الشرق العالمية ، ومساهمتهم فـــى حركة التبادل بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور . وعرفـــت سفن الممالك القديمة كسبأ وحمير حضرمـــوت طريقها عبـــر البحر الأحمر الى الشاطىء الافريقى ، حاملة الســـلع المحلية وغيرها من سلع الشرق لمبادلتها بأنواع التجارة الافريقية كالعاج والرقيق وزيت النخيل وغيرهـــا (١).

---

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقيـــة ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .

توطدت العلاقات العربية بسكان شرق افريقية ، وأنشأ تجار العرب المحطات والمراكز التجارية على طول الساحل الافريقى المقابل ، لتكون مناطق ارتكاز تصل اليها سلعهم الواردة والصادرة ، وتبدأ قوافلهم من هذه المراكز ، حاملة ما جاءوا به من بضائع ، ويتوغلون بها الى أسواق التجارة الافريقية فى قلب القارة ، حيث كان لهم وكلاؤهم التجاريين فى مناطق الأسواق الداخلية التى كانوا يقصدونها ومنها ما كان على النيل(١).

أدى هذا النشاط التجارى الى زيادة اقبال العناصر العربية على الوصول الى المناطق الممتدة على طول الساحل الافريقى الشرقى ، والى ما يلى سفالة الزنج جنوبا ، وقد بدأت حركة الهجرة من الجزيرة العربية الى تلك المناطق بأعداد متفاوتة منذ زمن بعيد ، وعلى فترات متتالية ومتباعدة عبر القرون . ونزحت أعداد كبيرة من اليمنيين الى تلك المناطق ، وخاصة بعد خراب سد مأرب ، وتوغلت جموع منهم تجاه وادى النيل غربا ، واستقرت جماعات منهم فى بعض مناطق حوض النيل والحبشة (٢).

والى جانب طوائف التجار والمهاجرين ، يشير ابن خلدون الى حملات عسكرية قام بها الحميريون ، ووصلت جموعهم الى بعض مناطق النوبة والسودان ، واخترقت قلب القارة الى شمالها فى بلاد المغرب ، واستقرت مجموعات منهم فى المناطق التى وصلت اليها(٣). ولهذا قرر ابن

---

(١) مصطفى محمد مسعد : نفس المرجع ، ص ١٠٧.
(٢) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ١١ - ١٢ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ١ ص ١٧٦ ، ج ٦ ص ١٩٩ .

خلدون أن أصل البربر من اليمن ، وأنهم من أبناء النعمان ابن حمير بن سبأ [١]. كما يدعى ملوك غانة ومالى الانتساب الى أصول عربية ، فى حين يعلن ملوك برنو أنهم من نسل سيف بن ذى يزن ، أى أنهم يمنيون [٢].

واذا كانت بعض تلك الروايات تدخل فى عداد الأساطير الا أنه من الثابت حدوث تلك العلاقات بين الجزيرة العربية وكثير من المناطق الافريقية منذ زمن بعيد . مما كان له أكبر الأثر فى انتقال العادات والتقاليد وتبادلها على مر العصور ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان الوافدون العرب نواة لغيرهم وركيزة لهم ، مما شجع الكثيرين على التعامل مع تلك المناطق أو الهجرة اليها .

ومن المعروف أن العرب استخدموا الممالك الافريقية المقابلة ، ثم أضافوا اليها - بعد فتح مصر - أكثر من مملك تجاه الغرب والجنوب ، فبعد أن تدفقت جموع الفاتحين الى مصر ، اندفعت للانتشار فى المناطق التى تم فتحها واختلطوا بعد استكمال الفتح بالسكان الأصليين . وقد كان الموقف آنذاك يتطلب العمل على تأمين ما تم من فتوحات اذ أنه بعد الفتح الاسلامى لبلاد الشام ، انسحبت قوات الروم (البيزنطيين) الى مصر ، باعتبارها الملجأ الطبيعى بعد فقد الشام . وكان على المسلمين فى نفس الوقت أن يستثمروا انتصاراتهم ، بتعقب الفارين والوصول بالفتوحات غربا الى

---

(١) العبر ، ج ٦ ص ٩٣ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ص ٨٢ (ويخص البعض قبيلة صنهاجة بالذات بهذا النسب الحميرى) السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ج ٢ ص ١٢٦ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، نشر دار الكتب المصرية ، جـ٥ ص ١١٧

مصر ، ولذلك سارع عمرو بن العاص بجيشة اليها . ويشير الواقدى الى استنجاد المقوقس بملك النوبة ، الا أن الملك المذكور لم يتمكن من ارسال المطلوب لوقوع خلاف بينة وبين ملك البجاة [١] . وقيل بل توجه كل من ملكى النوبة والبجة على رأس جيش كبير للمشاركة فى فك الحصار الاسلامى عن البهنسا [٢] .

فلما تم فتح مصر ، نصت معاهدة الصلح بين عمرو بن العاص والمقوقس فيما يتعلق بالمصريين ، بألا " يماكنهم النوبة " ونصت فى نفس الوقت ، على أن من يدخل فى الصلح من " الروم والنوبة فله مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب ، فهو آمن حتى يبلغ مأمنة أو يخرج من سلطاننا .... وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألا يغزوا أو يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة " [٣] .

وهكذا أجرى المسلمون من دخل فى صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر ، من تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وذمتهم وكنائسهم ، الا من اختار الذهاب منهم ، فهو آمن

---

(١) الواقدى : فتوح مصر والاسكندرية ، ليدن ١٨٢٥ ، ص ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٧ - ٧٨ .

(٢) Budge, The Egyptian Sudan, Vol.II,P. 184,
Burckhardt, Travels in Nubia, London, 1819,P.528

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، طبعة السعادة ، ج ٧ ص ٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبعة دار الكتب ، ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ ، وقارن الطبرى : تاريخة ليدن ١٨٩٣ ، القسم الأول ص ٢٥٨٨ - ٢٥٨٩ ، ابن خلدون: تاريخة ، بيروت ١٩٦٦ ، المجلد الثانى ٩٧١ .

حتى يبلغ مأمنه [١]. كما تعهد المسلمون بحماية مصر وأهلها من الاغارات ، ومنها اغارات أهل النوبة [٢]، ذلك أن النوبيين كانوا ينظرون الى مصر - ذات الخيرات - على أنها غنيمة لهم ، مثلما كانت لآبائهم وأجدادهم من قبل ، ولذلك فلم يكن فى الامكان أن يتوقف النوبيون عن الاغارة على مناطق مصر الجنوبية [٣] . ولهذا كان العمل من أجل فتح تلك البلاد ، لوقف الاغارات وتأمين الحدود ، وتيسير وصول الدعوة الاسلامية اليها ، وضمان انتظام الحركة التجارية الصادرة من مصر والواردة عبر أراضى النوبة حيث كانت السفن تحمل المقادير الكبيرة من الذهب والعاج وغيرهما عبر تلك الأراضى [٤].

ونتيجة للإغارات التى شنها النوبيون على صعيد مصر، وما ترتب على ذلك من تأثر الحركة التجارية ، استأذن عمرو ابن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب لتوجيه الحملات الى بلاد النوبة لوقف الاعتداءات النوبية وتأمين الحدود ، وفتح الطرق التجارية النهرية والبرية عبر تلك البلاد ،بالاضافة الى تحقيق وصول الدعوة الاسلامية الى أهالى النوبة [٥] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ١٣٤٩ هـ جـ ٢ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٩ .

(٣) بتلر : نفس المرجع ،ص ٣١٦ ،مصطفى مسعد : نفس المرجع ص ١١١ .

(٤) بتلر : نفس المرجع ، ص ٨٣ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ص ٢٩ ، جـ ٣ ص ٣٨ - ٣٩ .

قال البلاذرى : " لما فتح المسلمون مصر ، بعث عمرو بن العاص الى القرى التى حولها الخيل ليطأهم ، فبعث عقبة ابن نافع الفهرى - وكان نافع أخا العاص لأمه - فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم ، فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديداً ، لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم ، فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقوءة ، فسموا رماة الحدق(١).

وذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢٠ هـ ، : " أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر ، فقفل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمى ، فسموا : رماه الحدق(٢).

وقال المسعودى : " وقد كان عمرو بن الخطاب رض الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر ، كتب اليه بمحاربة النوبة ، ففزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق ، وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر"(٣).

وقال ابن عبد الحكم : " وبعث عمرو بن العاص نافع ابن عبد القيس الفهرى ، وكان أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة صوائف كصوائف الروم ، فلم يزل

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ،تحقيق صلاح الدين المنجد،١٩٥٦ ق ١ ص ٢٨٠ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ،ليدن ١٨٩٩ ،ص ٩٢ ، وقارن ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر ، (١٩٦١ ، ص ٢٢٨ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات،مخطوط بدار الكتب المصرية،رقم ٣١٩٧ تاريخ تيمور ، ج ١٢ ص ٣٠ ب ، حسن ابرهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ،ص ٢٤ ، محمد التونجى : عقبة بن نافع ، بنغازى ١٩٧٥ ص ١٧٠ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ق ١ ص ٢٥٩٣ .

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، الحميرى : الروض المعطار بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٣٧ .

الأمر على ذلك حتى عزل عمرو بن العاص عن مصر[١]".

وذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٠ هـ : أنه " لما فتحت مصر غزوا النوبة ، فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم ، فسموهم رماة الحدق[٢]" .

أما المقريزى ، فيقول ، أن : " أول ما تقرر هذا البقط فى امارة عمرو بن العاص ، لما بعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين ، وقيل سنة احدى وعشرين فى عشرين ألفا ، فمكث بها زمانا ، فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع اليه[٣] " .

وهكذا ، وبعد استعراض النصوص الخاصة بحملة النوبة الأولى ، يتضح لنا أنها ليست كافية لتوضيح تصور كامل عنها ، فقد أغفلت ما يتعلق باعداد الحملة وحجمها ، وخط سيرها ، وما اذا كانت برية ونهرية ، أم برية فقط ، ومدى توغلها فى عمق البلاد وموقع المعركة . كما اختلفت المصادر حول تحديد شخصية قائد الحملة ، وخلطت بعض المصادر بين هذه الحملة وبين حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م ، اذ جعل المقريزى تقرير البقط فى الحملة الأولى ، أى على عهد عمرو بن العاص ، وفى خلافة عمر بن الخطاب[٤] .

---

(١) فتوح مصر ، ص ٢٢٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ١٣٢٧ هـ ، جـ ١ ص ٦٢ .

(٢) الكامل فى التاريخ : جـ ٢ ص ٣٩٧ ، (قال القلقشندى: " لما فتح عمر بن العاص رضى الله عنه مصر ، غزاهم ") صبح الأعشى ، طبعة دار الكتب ، جـ ٥ ص ٢٧٦ .

(٣) الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٠ .

(٤) الخطط ، نفس الجزء والصفحة .

وفيما يتعلق بمحاولة توضيح بعض تلك النقاط ، فانه على ضوء طبيعة المرحلة وسياسة الفاتحين خلالها، وحجم القوة العسكرية فى مصر وقتذاك وضرورة المحافظة عليها وعدم اضعافها بتشتيتها فى جبهات متعددة ، فانه يمكن القول بأن المحاولات الأولى لفتح النوبة أو المغرب ، وان استهدفت تحقيق الهدف الأساسى من الفتوحات ، من اتاحة الفرصة لتعامل الاسلام مباشرة مع شعوب تلك المناطق ،ووصول الدعوة اليهم ، الا أن ذلك كان مرتبطا بمدى ما يمكن اعداده من قوة قادرة على الفتح واستكماله .

فقد كان على القوات الاسلامية فى مصر تثبيت الوجود الاسلامى فيها ، ودفع المخاطر التى تتهددها ، وتأمين حدودها الجنوبية والغربية . غير أن تلك القوات لم تكن من الكثرة بحيث يمكن تخصيص أعداد كبيرة منها لتوجيهها الى المناطق الجنوبية والغربية . وهذا ينفى ما ذكره المقريزى من أن الحملة الأولى على النوبة كانت تتكون من عشرين ألفا[١] . وانما كانت تتكون من عدد محدود من الفرسان[٢]. ويؤيد ذلك ما ذكرته المصادر من أن أولى الحملات التى قادها عمرو بن العاص لفتح برقة ، وهى فى حدود الفترة التى وجهت فيها حملة النوبة الأولى ، كانت من الفرسان[٣] .

---

(١) الخطط ،نفس الجزء والصفحة .
(٢) انظر ، البلاذرى : فتوح البلدان ،ق ١ ص ٢٨٠ .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ،طبعة كولان وبروفنسال ، ص ٨ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ ،ج ٢ ص ١٤٢ ،سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ١٩٧٩ ،ج١ ص ١٣١ .

وهذا يعنى أنها كانت قليلة العدد ، رغم احتمالات المخاطر من جهة البيزنطيين فى الجهة الغربية . وعلى ذلك ، فان تلك الحملة وغيرها فى كل من الجهتين لم تكن فى قوة كافية بحيث يمكنها تثبيت ماتحققه من فتوحات ، وضمان استمرار تبعية ماتفتحه، بترتيب الحاميات الكافية والدائمة فيها ، اذ أن صغر حجم الحملات حتم عودتها الى قواعدها بعد كل حملة بمجرد القيام بما أعدت له ، ودون ترك حاميات فى المناطق التى تم فتحها ، مما يدل على أن الحملات الأولى لم تكن سوى حملات استطلاعية محدودة العدد ، تتكون كل منها من مجموعة من الفرسان .

وهكذا ، يمكن القول بأن حملة النوبة سنة ٢٠ أو ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) كانت كذلك محدودة العدد ، ولذلك لم تستهدف الفتح الكامل والدائم بقدر ماكانت للاستطلاع والاستكشاف وتأمين الحدود والتمهيد لنشر الاسلام والتعرف على طبيعة البلاد ومسالكها وتكوين تصور كامل عن قوتها، مما يساعد على تنظيم واعداد عمليات الفتح على ضوئها ، عندما تتوفر القوة الكافية التى يمكن تخصيصها لتحقيق ذلك .

واذا كانت المصادر لم تنص على خط سير الحملة ،وبيان مدى توغلها ، أو تحديد موقع المعركة ، فانه يمكن القول بأن الحملة كانت برية لكونها من الفرسان ، وأنها استهدفت المواقع القريبة من حدود مصر الجنوبية فيما يلى أسوان وماحولها ، حيث كانت الاغارات النوبية تنطلق منها،وعلى ذلك لم تكن المعركة تبعد كثيرا عن حدود مصر . يؤيد ذلك

ماذكره الطبرى ، من أن الغزوة كانت لنوبة مصر [1] أى منطقة النوبة القريبة من مصر ، مما سهل للحملة مهمة الانسحاب والعودة بعد أن أصيب بعض أفرادها بجراحات وحدق مفقوءة ، لتضع بين يدى عمرو بن العاص تقريرا عن صورة الموقف ، وأسباب اخفاق الغزوة التى ترجع الى قلة عدد الغرسان ، مع كثرة عدد النوبيين وشدة مقاومتهم ، ومهارتهم فى الرمى بالسهام .

لم تكن المعركة معركة التحام بين القوتين ، ليظهر المسلمون براعتهم فى القتال بالسيوف ، ولكن لعدم خبرة النوبيين بالفروسية ، فقد عملوا على أن تكون المعركة بالأسلوب الذى يجيدونه ، مما جعل من المتعذر أن تكون المعركة معركة فروسية بالسيف ، فظهرت براعة النوبيين فى الرمى بالسهام ، وقدرتهم على اصابة الهدف ، اذ كانوا يصوبون سهامهم الى عيون مقاتلى المسلمين فيصيبونها فى دقة تامة ، فكانت تلك الحملة بمثابة أول اتصال بين الفاتحين وشمال السودان .

ويمدنا البلاذرى برواية أسندها الى من رواها عن واحد ممن شارك فى تلك المعركة ، قال : " شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب ، فلم أر قوما أحد فى حرب منهم . لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم : أين تحب أن أضع سهمى منك؟ فربما عبث الفتى منا فقال : فى مكان كذا ، فلا يخطئه . كانوا يكثرون الرمى بالنبل ، فما يكاد يرى من نبلهم فى الأرض شىء فخرجوا الينا ذات يوم فصافونا ، ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف ، فما قدرنا على معالجتهم . رموا حتى ذهبت الأعين ، فعدت مائة وخمسون عينا مفقوءة . فقلنا :

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ق ١ ص ٢٥٩٣ .

مالهؤلاء خير من الملح ، ان سلبهم لقليل ، وان نكايتهم لشديدة ، فلم يصالحهم عمرو ، ولم يزل يكالبهم حتى صالحهم[١]".

أما فيما يتعلق بما ذكره المقريزي من أن تقرير البقط على النوبة كان نتيجة لتلك الحملة[٢] فان المصادر الأقدم ، لم تمدنا بما يؤيد ذلك ، بل على العكس فكلها تشير الى اضطرار الحملة إلى الانسحاب والعودة لشدة مقاومة النوبيين[٣]، وهو موقف لايمكن القول بأنه من الممكن أن يتقرر البقط نتيجة له ،اللهم الا اذا كان المقصود ماورد عن النوبيين في معاهدة الملح التي عقدها عمرو بن العاص مع المقوقس عند فتح مصر[٤] الا أن المقريزي ينص على أن تقرير البقط كان نتيجة للحملة الأولى على بلاد النوبة .

ومن ناحية أخرى،فان استمرار عمرو بن العاص في ارسال فرسان المسلمين الى النوبة صوائف كصوائف الروم[٥]،ورفضة مصالحة النوبيين الى أن صرف عن مصر[٦] فان في ذلك دليل على استمرار الغزوات ، صوائف طيلة ولاية عمرو بن العاص والى أن كانت حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١ هـ / ٦٥٢ م .

---

(١) فتوح البلدان ،ق ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) الخطط ،ج ١ ص ٢٠٠،حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ،ص ١٣٩ .
(٣) البلاذري : نفس المصدر ،ص ٢٨٠ ، الطبري : تاريخه ،ق ١ ص ٢٥٩٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج ٢ ص ٣٩٧ .
(٤) الطبري : نفس المصدر ،ق ١ ص ٢٥٨٨ - ٢٥٨٩ ،
ابن كثير : البداية والنهاية ،ج ٧ ص ٩٨ ،
ابن خلدون : تاريخه ، مجلد ٢ ص ٩٧١ ،
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج ١ ص ٢٤ .
(٥) البلاذري : نفس المصدر والصفحة ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ،ص ٢٢٨ ،السيوطي : حسن المحاضرة ،ج ١ ص ٩٢.
(٦) البلاذري : نفس المصدر ص ٢٨١ ،المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن عبد الحكم :فتوح مصر ،ص ٢٢٨ .

ويستوقفنا أخيرا فيما يتعلق بهذه الحملة ، تحديد شخصية قائدها ، اذ تضاربت المصادر حول شخصيات ثلاث عبد الله بن سعد بن أبي سرح[١]،أو عقبة بن نافع[٢] أو والده نافع بن عبد القيس الفهري .[٣]

ففيما يتعلق بعبد الله بن سعد ،وهو ماذكره المقريزى قائدا للحملة ، فمن الثابت أن المقريزى قد خلط بين هذه الحملة وبين حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١ هـ ، واذا ثبت اشتراك عبد الله بن سعد فى حملة النوبة الأولى ، فمن المرجح أنه كان واحدا من أفرادها وليس قائدا لها .

أما عقبة بن نافع ، فقد أشارت المصادر الى اسناد قيادة حملات أخرى اليه منذ بداية المحاولات الأولى لفتح المغرب سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م[٤] ولما كانت المصادر قد حددت فى نفس الوقت مولد عقبة فى السنة العاشرة للهجرة ، أى قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعام تقريبا[٥]فانه يكون فى العاشرة أو الحادية عشر من عمره أثناء حملة النوبة الأولى على أكثر تقدير، أى أنه لم يكن فى سن يسمح باسناد

---

(١) المقريزى : نفس المصدر ،ج ١ ص ٢٠٠ ،عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان ،ص ٣٥ .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر ،ق ١ ص ٢٨٠ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ،ص ٩٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص ٢٢٨.

(٤) انظر ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،ج٢ ص١٤٢ ١٩١ ،سعد زغلولعبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج ١ ص ١٣١ ، ١٧٦ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ،ج ١ ص ١٩ ، ابن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٠ - ١٢٨٦ هـ ، ج ٣ ص ٤٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ،ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ج ١ ص ١٣٦ ، ١٧٦ .

قيادة الحملة اليه ، وخاصة أنها كانت موجهة لمناطق تكاد تكون ممالكها وطبيعتها مجهولة بالنسبة للفاتحين، وان اقتصرت مهمتها خلال تلك المرحلة على الاستطلاع ، الا أن ذلك لا يمنع من مصاحبة عقبة لأبيه الذى كان قائدا للحملة وهذا ما ذكره ابن عبد الحكم ، اذ نص صراحة على أن الحملة كانت بقيادة نافع بن عبد القيس[1]، وقد نسبت المصادر ذلك الى عقبة ، لما اشتهر به بعد ذلك باعتباره من كبار قادة الفتوحات فى بلاد المغرب ، فخلطت المصادر فى هذه الحملة بين الصبى الصغير عقبة وبين والده ،ونسبت قيادة تلك الحملة وغيرها من الحملات المبكرة اليه .

أما عن حملة عبد الله بن سعد على النوبة ، فتجمع المصادر على أنها كانت سنة ٣١هـ[2]/٦٥٢ م . الا أن بعضها لم يشر الى الحملة الأولى ، واعتبر أن حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١ هـ ، هى أولى الحملات التى وجهها المسلمون الى

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ياقوت: معجم البلدان ، مادة دمقلة ؛ ابن الفرات : تاريخة ج ١٣ لوحة ٣٠ ب ، ابن ايبك : كنز الدرر، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ ، ج ٨ ص ٢٠١ ،النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، وقارن ، خليفة بن خياط ، (حيث جعل حملة ابن سعد سنة ثمانى وثلاثين الى الحبشة ، وقال : " وفيها غزا ابن سرح الحبشة ، فأصيبت عين معاوية بن حديج " .) تاريخ خليفة ابن خياط ، تحقيق سهيل زكار ١٩٦٧ ، ج ١ ص ١٧٨.

بلاد النوبة ، قال الذهبى والنويرى وابن الفرات وابن أبيك وغيرهم : أن " أول ما غزيت النوبة سنة احدى وثلاثين للهجرة النبوية (١) " .

ولا شك أنه فيما سبق توضيحه ما يكفى لتأكيد أن حملة ابن سعد لم تكن أولى الحملات على النوبة ، وأن بداية محاولات فتحها كانت سنه ٢٠ أو ٢١ هـ/ ٦٤١ أو ٦٤٢ م أى بعد فتح مصر مباشرة .

ونظرا لأن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن حملات أخرى فيما بين الحملة الأولى وحملة ابن سعد ، أى لفترة تزيد عن عشر سنوات ، فقد يتبادر الى الأذهان أن الحملات قد توقفت خلال تلك الفترة ، وقد يؤيد ذلك ما ذكره القلقشندى نقلا عن الروض المعطار - من " أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قصد قتال النوبة ؛ فرآهم يرمون الحدق بالنبل ، فكف عنهم ، وقرر عليهم اتاوة من الرقيق فى كل سنة (٢) " .

واذا كان الكف عن حرب النوبة قد ورد صريحا فيما أورده القلقشندى ، الا أن ما جاء فى هذه الرواية من أخطاء ، كجعل الحملة الأولى بقيادة عمرو بن العاص ، وأن من نتائجها تقرير اتاوة سنوية من الرقيق تقدمها النوبة ، لمما يجعل من الحكمة عدم الأخذ بها ، اللهم الا اذا كان المقصود حملة عبد الله بن سعد التى لم تكن فى عهد عمرو .

---

(١) تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٦ تاريخ ج ٢٩ ص ١٢٨ ، نهاية الارب ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، تاريخ ابن الفرات ، ج ١٣ لوحة ٣٠ ب ، كنز الدرر ، ج ٨ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، وانظر ، ياقوت : معجم البلدان ، مادتى دمقلة والنوبة ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ١٤٣ ، الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٦٩

(٢) صبح الأعشى : ج ٥ ص ٢٧٨ .

ومما يزيد الشك فى رواية القلقشندى ، ما أورده فى صفحة سابقة ، جاعلا الحملة بقيادة عمرو بن العاص أيضا ، اذ ذكر أنه لما فتح عمرو بن العاص مصر قام بغزو النوبة، وأورد القلقشندى نصا نقله أيضا عن الروض المعطار ، جاء فيه :" فرآهم يرمون الحدق بالنبل ، فكف عنهم ، وقرر عليهم اتاوة فى كل سنة(١)" . وقد يكون تكرار النص على الكف عن حربهم ، تأكيد لهذا الخبر ، الا انه بالرجوع للروض المعطار يتضح اختلاف ما أورده القلقشندى عما ذكره صاحب الروض المعطار ، حيث النص فيه كما يلى :

" ولما افتتحت مصر ، أمر عمر رضى الله عنه ان تغزى النوبة ، فوجدهم المسلمون يرمون الحدق ، فذهبوا الى المصالحة ، فأبى عمرو بن العاص رضى الله عنه من مصالحتهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة احدى وثلاثين(٢)" .

وهكذا يتضح أن صاحب الروض المعطار لم ينص على توقف الحملات أو المصالحة أو التوصل الى تقرير شىء على النوبة فى عهد ولاية عمرو بن العاص على مصر .

وأيا ما كان الأمر ، فانه اعتمادا على غير تلك النصوص ، نستطيع أن نقرر عدم توقف الغزوات فيما بين الحملة الأولى وبين حملة عبد الله بن سعد . ففى رواية البلاذرى بسنده عن شيخ من حمير ، ما يدل على استمرار

---

(١) صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ٢٧٦ .
(٢) الحميرى : الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت مادة دمقلة ص ٢٣٧ .

الحملات ، اذ قال الشيخ : " شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب [١] ".

كما تشير نصوص أخرى الى عدم مصالحة عمرو بن العاص للنوبة ، وأن كتائب الفرسان استمرت فى الوصول الى النوبة بعد الحملة الأولى ، موائف كصوائف الروم : " ولم يزل الأمر على ذلك حتى عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وأمر عبد الله بن سعد ، فصالحهم [٢] " .

وهكذا يتأكد أن حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١هـ/٦٥٢م ، لم تكن أولى الحملات التى وجهها الفاتحون الى النوبة ، وأن الحملة الاولى كانت سنة ٢٠ أو ٢١ هـ/٦٤١-٦٤٢م ، وأن كتائب فرسان المسلمون لم تتوقف عن الوصول اليها ، وأنها استمرت حتى بعد عزل عمرو وولاية ابن سعد ، الذى بدأت ولايته على مصر سنه ٢٥ هـ[٣] / ٦٤٦ م . ومن المرجح أنه حدث خلال السنوات الست التالية لولايته ، ما كان سببا فى قيامه بحملته التى أشارت اليها المصادر ، وحددت توقيتها فى عام ٣١هـ/٦٥٢ م . أما عن القول بأنها أولى الحملات التى أرسلت الى النوبة ، فانه يمكن اعتباره كذلك اذا كان المقصود هو تحديد العدد والعدة والتعرف على عمق المسافة التى يمكن أن تصل اليها هذه الحملة ، وما يمكن أن تحققه من أهداف .

---

(١) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ .
(٢) البلاذرى : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٢٨ المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٣٣٧ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ حوادث سنة ٢٥ هـ ، وجعلها ابن الأثير سنة ٢٦ هـ . أنظر ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٢٦ هـ .

وأيا ما كان الأمر ، فلم يكن والى مصر مطلق اليد في التصرف في أمر الفتوحات غربا أو جنوبا ، وانما كان ذلك يتم تنفيذا لسياسة مرسومة تتفق مع تطورات الحوادث وطبيعة المرحلة ، وبعد موافقة الخليفة ، وقد أشارت بعض المصادر الى استئذان عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب لاعداد وتوجيه الحملات ، ولم يقتصر ذلك على ما يتعلق بالنوبة [١] ، وانما كان الأمر كذلك بالنسبة للحملات التى وجهت الى بلاد المغرب[٢] . كما كانت الحملات الأولى فى الجبهتين عبارة عن سرايا استطلاعية للاستكشاف محافظة على وحدة القوات الاسلامية فى مصر ومنعا من تفرقها وتشتتها فى تلك القفار الشاسعة .

فلما كان عهد خلافة عثمان بن عفان ، واستقرت الفتوحات الاسلامية ، وزاد عدد المسلمين باقبال أهالى البلدان المفتوحة على اعتناق الاسلام . وبالنسبة لبلاد النوبة ،فيبدو أن السرايا الاستطلاعية قد أدت مهمتها ، وتوفرت المعلومات عن تلك البقاع . ونتيجة لذلك ولكثرة الاغارات النوبية على صعيد مصر ، وما قام النوبيون خلالها من سلب ونهب وتخريب [٣] ، فقد توفرت الأسباب الموجبة لاعداد حملة كبيرة لوضع حد لتلك الأعمال .

---

(١) انظر ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ،ص ٢٦٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص ٤٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ١ ص ٨ ، أبو العرب : طبقات علماء افريقية ،بيروت ،ص ١٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ،جـ١ ص ١٤٢ - ١٤٣،السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ١٥٠
(٣) المقريزى : الخطط ،جـ ١ ص ٢٠٠ .

ففى سنة ٣٢١هـ / ٩٥٢م توجه عبد الله بن سعد على رأس حملة أحكم اعدادها ، اذ كانت تتكون من خمسة آلاف فارس[١] ، مزودين بالمؤن والسلاح وآلات الحصار ، واتخذ طريقه عبر أراضى النوبة متوغلا الى مدينة دنقلة[٢] عاصمة مملكة النوبة الشمالية مقرة .

ولتلافى الوقوع فى مصيدة سهام النوبيين ، فقد قام عبد الله بن سعد بفرض الحصار على العاصمة النوبية ، واستخدم المنجنيق فى قصفها ، فخربت قذائفه كثيرا من الدور ومنها كنيسة المدينة . وعندئذ فوجىء ملك النوبة قليدوروث بهذا الأسلوب الحربى الذى لم تعهده النوبة من قبل[٣] ، وأسقط فى يده ، واضطر الى الاسراع فى طلب الصلح ، حتى لا تؤخذ بلاده عنوة ، " وخرج الى عبد الله وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعا . فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه ، ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا فى كل سنة ، ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام ببلده[٤] " .

قال ابن عبد الحكم ومن نقل عنه ، أنه " أصيب يومئذ عين معاوية بن حديج وأبى شمر ابرهة (الصباح) وحبيل بن ناشرة ، فيومئذ سموا رماة الحدق ، فهادنهم عبد الله

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، ابن الفرات تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٣ أ .

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٢٩ ص ١٢٨ ، النويرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة ، Holt: The Milotic Sudan (in the Cambridge History of Islam, Vol. II,P. 328.

(٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٤) المقريزى : نفس المصدر والصفحة .

ابن سعد اذ لم يطقهم ، وقال الشـــاعر :

لم ترعيني مثل يوم دمقلة ... والخيل تعدو والدروع مثقلة (١)

غير أن اصابة عيون المقاتلين وتسمية النوبيين برماة الحدق ، انما كان فى الحملة الأولى ، حيث فوجىء المسلمون وقتذاك ببراعة النوبيين المتناهية فى اصابة الهدف بالسهام من بعيد ، لذلك لم يتمكن المسلمون آنذاك من الالتحام بهم لمقاتلتهم بالسيوف . أمّا فى هذه المعركة ، فان الحصـــار الذى فرضه المسلمون على العاصمة ، واستخدام المنجنيق فى ضربها ، فوت الفرصة على النوبيين فى استخدام الســـهام ، لبعد المسلمين عن مرماها ، ولهذا عجزوا عن مدافعة المسلمين وأيقنوا بالهلاك ، وخرج ملكهم خاضعا طالبا الصلح . وهو أمر لايحدث اذا كان النوبيون قد تمكنوا من استخدام سهامهم فى هذه الحملة .

يؤيد ذلك ماقاله كل من البلاذرى وابن خرداذبة والطبـرى والمسعودى وابن الأثير ، من أن اصابة عيون المقاتلين فـــى الحملة الأولى ، ولم يشر أى من هؤلاء الى تكرار ذلك فـــى حملة عبد الله بن ســعد المشار اليهـــا (٢)

---

(١) فتوح مصر ،ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٢٩ ص ١٢٨ ، النويرى : نهاية الأرب ،ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، ابن الفرات : تاريخه ،ج ١٢ لوحة ٣٠ أ ، ياقوت : معجم البلدان ،مادة دمقلـــة .

(٢) فتوح البلدان ،ق ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، المسالك والممالك ص ٩٢ تاريخ الرسل والملوك ،ق ١ ص ٢٥٩٣ ،مروج الذهب ،ج ١ ص ٢٤٧ ،الكامل فى التاريخ ،ج ٢ ص ٢٩٧ .

وهكذا ، فقد تحقق النصر للمسلمين فى هذه المعركة ، بعد أن تهاوت عزائم النوبيين وعجزوا عن الدفاع عن مدينتهم. ولهذا أسرع ملكهم الى طلب الصلح قبل أن تفتح مدينته عنوة، أما اجابة ابن سعد له ، فتنفيذا لقول الله سبحانه وتعالى : " وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ".(١)

قال البلاذرى : ان النوبيين سألوا ابن سعد " الصلح والموادعة فأجابهم "(٢) وقال : " حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن أبى لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : ليس بيننا وبين الأساود(٣) عهد ولاميثاق ، انما هدنة بيننا وبينهم ".(٤)

وقال ابن عبد الحكم ومن نقل عنه : " انما هى هدنة أمان "(٥) على ألا نقاتلهم ولايقاتلوننا ، " وأن يعطونا رقيقا ونعطيهم بقدر ذلك طعاما ".(٦)

أما فيما يتعلق بنص كتاب عبد الله بن سعد لملك النوبة، فقد أورد ابن عبد الحكم بعضا منه ، قال : " ويقال فيما ذكر بعض المشائخ المتقدمين ، انه نظر فى بعض الدواوين بالفسطاط وقرأه قبل أن يحرق ، فاذا هو يحفظ منه :

---

(١) سورة الانفال ، آية ٨ .
(٢) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ ، وانظر ، ياقوت : معجم البلدان مادة دمقلة .
(٣) الأساود : هم النوبة ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٥٢
(٤) فتوح البلدان : ق ١ ص ٢٨١ .
(٥) فتوح مصر ، ص ٢٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة دمقلة النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ٢٦٠ أ ، ابن الفرات : تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٠ ب .
(٦) البلاذرى : نفس المصدر والصفحة ، وانظر ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة ، الطبرى : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٥٩٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة دمقلة ، ابن الأثير : نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٩٧ ، النويرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة .

انا عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأسا . وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين ،وكذا ندخل بلادكم . على أنكم ان قتلتم من المسلمين قتيلا ،فقد برئت منكم الهدنة . وعلى ان أويتم للمسلمين عبدا ،فقد برأت منكم الهدنة . وعليكم رد أباق[1] المسلمين ، ومن لجأ اليكم من أهل الذمة (٢)

أما النص الكامل لكتاب عبد الله بن سعد ،فقد أورده المقريزى فى خططه وان كان قد أغفل ذكر مصدره ،ونصه بعد البسملة كالآتى :-

" عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته ،عهد على الكبير والصغير من حد أرض أسوان الى حد ارض علوة ، ان عبدالله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، أن لانحاربكم ولانتصب لكم حربا ولانغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو طرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ،وأن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ، ولاتستولوا عليه ، ولاتمنعوا منه ولاتتعرضوا لمسلم قصده وجاوره الى أن ينصرف عنه وسلم مسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء

---

(١) الآبق : هو العبد البالغ الهارب .
(٢) فتوح مصر ،ص ٢٥٤ .

مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته . وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى إمام المسلمين ، من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم . تدفعون ذلك الى والى أسوان . وليس على مسلم دفع عدولكم ولا منعه عنكم ، من حد أرض علوة الى أرض أسوان . فان أنتم آويتم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيأ من الثلثمائة رأس والستين رأسا ، فقد برئت عنكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم ، الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة احدى وثلاثين[1].

قال الطبرى : " قال على ، قال الوليد بن هيعة : وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء[2]".

ومما تجدر الاشارة اليه ، أنه ليس فيما لدينا من نصوص ما يدل على توقيع ملك النوبة على هذا الكتاب . غير أن التزام النوبيين بالوفاء بما ورد فيه، يؤكد القبول بما تضمنه .

---

(١) الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ص ٢٥٩٣ . ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة .

ويتضح من النص الكامل للكتاب ، أنـــه :

- أمان لمملكة النوبة الشمالية (مقرة) ، هدنة بيـــن المسلمين وبين تلك المملكة فقط ، الى حد أرض علوة (المملكة الجنوبية) ، أى أنه لم يتضمن مملكة علوة .

- ضمان لحرية دخول المسلمين والنوبيين كل الى بلـــد الآخر غير مقيمين . وأن يحفظ النوبيون من يصل الى بلادهـــم من مسلم أو معاهد حتى يخـــرج .

- عدم ايواء مسلم محارب للمسلمين ، أو الفارين مـــن عبيد المســـلمين .

- القيام بحفظ المسجد الذى أقامه المسلمون بدنقلـــة ، والتعهد بنظافته وانارته ، وعدم التعرض بسوء لمن يقصده مصليا كان أو مجـــاورا .

- عدم التزام المسلمين بحماية النوبيين ، أو تقديـــم أية مساعدة لهم ضد أعدائهم .

- التعهد بتسليم ٣٦٠ رأسا من الرقيق ســـنويا .

- يلتزم المسلمون بعد محاربة [illegible] ، والتزمين [illegible] بالوفاء بما ورد [illegible]

ولا شك أن ما تقرر [illegible]
[illegible] سلامة [illegible]
الأمان الأساسى للقوافل [illegible]
البلاد ، والتعهد بنشر الاسلام والثقافة العربية بينهم . بالاضافة الى وقف الاغارات النوبية على صعيد مصر وتأميـــن حدود مصر الجنوبية ، وتنشيط الحركة التجاريـــة .

أما النص المتعلق بالرقيق ، فمن المحتمل أن يكـــون القصد منه التأكد من استمرار التزام النوبيين بتنفيـــذ بقية ما نص عليه عهد الأمان ، والوفاء بما تعهدوا بـــه ،

خاصة وأن المصادر لن تشر الى قيام المسلمين بترتيب نائب أو حاميات اسلامية فى النوبة .

ومما يذكر أن هذا الرقيق ، الذى نص عليه ، هو وحده الذى اصطلح عليه بالبقط[١] دون بقية ما نص عليه العهد، وربما كانت لفظة (البقط) مصرية قديمة بمعنى عبد . وأطلقتها المصادر العربية على ما تقدمه النوبة من رقيق[٢]. أما اذا كانت عربية ، فهى - كما يقول المقريزى - تعنى فرقة من الشىء أو قطعة منه ، وهى هنا بمعنى " بعض ما فى أيدى النوبة [٣]" .

فالبقط اذن ، " ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم[٤]" .طبقا لما قرر[٥]. وقد فرض بنفس القدر فى جهة المغرب على أهل ودّان وجرمة[٦]. الا أنه لم يطلق عليه هناك نفس الاسم .

وقد جعل ابن خلدون البقط جزية[٧] .وقال غيره بأنه ليس بجزية [٨] ولاخراج[٩]وقال ابن الفرات بأنه ضريبة[١٠].

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) بيكر : مادة (بقط) بدائرة المعارف الاسلامية .
(٣) الخطط ، ج ١ ص ١٩٩ .
(٤) المقريزى : نفس المصدر ،ج ١ ص ١٩٩ ، ٢٠١ .
(٥) النويرى : نفس المصدر ،ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ب ، ابن الفرات: تاريخة ،ج ١٣ لوحة ٣٠ ب .
(٦) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج ١ ص ١٨٠، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،ج ٢ ص ١٩٤ .
(٧) تاريخ ابن خلدون ،ج ٥ ص ٩٢١ ،بيكر : مادة (بقط) دائرة المعارف الاسلامية .
(٨) البلاذرى : فتوح البلدان ق ١ ص ٢٨٠ .
(٩) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٩٢ .
(١٠) تاريخ ابن الفرات ،نفس اللوحة ، النويرى : نفس المصدر والورقة .

وقيل بل هو هدية [١] او عطاء يقدمه النوبيون ، ويؤدى المسلمون فى مقابله طعاما [٢] . غير أن نص العهد الذى أورده المقريزى ، لم يرد فيه شرط عن التزام المسلمين بتقديم شىء من غلال أو خلافه ، غير أن هدية الغلال ، انما كانت بعد أن قرر ابن سعد الصلح مع ملك النوبة ، على نحو ماورد فى الكتاب . فلما شكا الملك قله الطعام ببلده ، وعده ابن سعد بحبوب يهديها اليه [٣] ، وبعث له ما وعده به من حبوب قمحا وشعيرا وعدسا وثيابا وخيلا ، قال المقريزى: " ثم تطاول الرسم على ذلك ، فصار رسما ياخذونه عند دفع البقط فى كل سنة [٤] " . ولم يتوقف المسلمون عن ارسال هديتهم طالما استمر النوبيون فى المحافظة على تنفيذ ما التزموا به ، بما فى ذلك البقط .

---

(١) البلاذرى : نفس المصدر والصفحة ، الطبرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن خرداذبة : نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ابن عبد الحكم: نفس المصدر ، ص ٢٥٣ ، الطبرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن خرداذبة : نفس المصدر والصفحة ، ياقوت : مادة دمقلة، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة ، النويرى : نفس المصدر والورقة ، بيكر : مادة بقط بدائرة المعارف الاسلامية Quatremére, Memoires Géographiques et Historiques sur l'Egypt, et sur quelques contrées voisins, 1811,vol, II,P.42, MacMichael, A History of the Arabs in the Sudan, 1922, vol. I, 158.

(٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .
(٤) الخطط ، نفس الجزء والصفحة .

ورغم تحديد كتاب ابن سعد للبقط بثلاثمائة وستين رأسا ، وأن العدد كان كذلك فيما فرض فى جبهة المغرب ، الا أن بعض الروايات ذكرت أرقاما تختلف عن ذلك: ففى رواية البلاذرى بسنده الى يزيد بن أبى حبيب ، قال : أنهم ثلاثمائة رأس فقط[١] ، وقيل بل صالحهم على اربعمائة رأس[٢] ، لوالى مصر منها أربعين[٣] .

أما المسعودى ، فقد جعلهم ثلاثمائة وخمس وستين رأسا ، أى بزيادة خمسة ، وقال : " وأراه رمما على عدد أيام السنة[٤] " . وأن هذا ما يخص بيت مال المسلمين ، تنفيذا لشرط الهدنة . وزاد على ذلك عددا آخر خارج عن الشرط ، عبارة عن أربعين رأسا لأمير مصر ، وعشرين لنائبة فى أسوان وخمسة للقاضى الذى يحضر مع أمير أسوان لاستلام البقط ، واثنى عشر رأسا لاثنى عشر شاهدا عدولا يحضرون الاستلام . قال المسعودى : وهذا " على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنه بين المسلمين والنوبة " . وكان يتم تسليم البقط فى موضع يعرف بالقصر ، على ستة أميال جنوبى أسوان[٥] .

---

(١) البلاذرى : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ابن خرداذبة : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، مادة نوبة ، النويرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات نفس المصدر واللوحة.

(٣) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ،ص ٢٥٤ ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة ، النويرى : نفس المصدر والصفحة .

(٤) مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥) مروج الذهب ،ج ١ ص ٢٤٧ ،المقريزى : الخطط ،ج ١ ص ٣٠١ .

وقد حدد العهد وصف نوعية ما تقدمه النوبة من رقيق ، اذ يجب أن يكون من أوسط رقيقهم ، " غير المعيب ، يكون فيها ذكران واناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم (١)" .

قال ابن عبد الحكم : " فزعم بعض المشائخ أن منها سبعة عشر مرضعا (٢)" .

والرقيق أو البقط الذى تقدمه النوبة ، هو " مما يأخذون من رقيق أعدائهم (٣)" . مما يسببه ملكهم " المجاور للمسلمين من غيرهم من بلاد النوبة (٤)" . قال البلاذرى: " فاذا لم يجدوا منه شيئا ، عادوا على أولادهم ،فاعطوا منهم فيه بهذه العدة (٥)" . وقال ابن عبد الحكم : " قال ابن لهيعة : ولا بأس أن يشترى رقيقهم منهم ومن غيرهم (٦)".

ولا شك أن أخذ الرقيق أو شراءه فى الاسلام انما يهدف الى تعريفهم بالاسلام .

فالدعوة للاسلام هى الهدف الرئيسى للفتوحات ، وتربية هؤلاء على العادات والتقاليد الاسلامية ، وتعليمهم اللغة.

---

(١) المقريزى : نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .
(٢) فتوح مصر ، ص ٢٥٤ .
(٣) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٢٨١ .
(٤) المسعودى : نفس المصدر ، والصفحة .
(٥) فتوح البلدان ، نفس الصفحة .
(٦) فتوح مصر ، ص ٢٥٣ ، وانظر ، البلاذرى : نفس المصدر والصفحة . النويرى : نفس المصدر ج ٢٩ ورقة ٢٦٠ أ ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة .

العربية . فاذا ما تحقق ذلك تم عتقهم (١) ، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وتلك كانت وسيلة من وسائل توثيق العلاقات بين المسلمين والنوبة .

وهكذا فقد وضع عبد الله بن سعد الأسس للعلاقات المختلفة بين المسلمين والنوبة ، وتم تنظيم تلك العلاقات بطريقة تضمن تحقيق الاتصال بين البلدان ، وتأمين الحدود ووقف الاغارات ، مما كان له أكبر الأثر فى تسهيل وصول الدعوة وانتشار الاسلام فى بلاد النوبة سليما ، وما البقط الا دليل على استمرار وفاء النوبيين بما تعهدوا به .

---

(١) انظر ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جـ ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

المصـــــادر والمراجـــع

أولا : المصـــــــادر .

ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن على (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣ م)
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٠ - ١٢٨٦هـ.
- الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٣٤٩ هـ .

الاصطخرى ، أبو القاسم ابراهيم (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)
المسالك والممالك ، القاهرة ١٩٦١ .

ابن أيبك الدوادارى ، أبو بكر بن عبد الله (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)
- كنز الدرر وجامع الغرر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

البلاذرى ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)
- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ١٩٥٦ .

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م)
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،القاهرة ١٩٣٥.

الحميرى ، محمد بن عبد المنعـــم
- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٥ .

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد البغدادى (ت ٣٥٠ هـ /٩٦١م)
- صورة الأرض ، ليـــدن ١٩٣٨ .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد اللـــــــه (ت ٣٠٠ هـ / ١٤٠٥ م)

- المسالك والممالك ، ليدن ١٨٩٩ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٥٨ .
خليفة بن خياط العصفرى (ت ١٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

- تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق سهيل زكار ، ١٩٦٧ .
الدمشقى ، محمد بن ابى طالب الانصارى (ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٨م)

- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ١٩٢٨ .
الذهبى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧)

- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ .
السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
(ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ١٣٢٧ هـ .
أبو صالح الأرمنى (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م)

- تاريخ أبى صالح الأرمنى ، ١٨٩٤ .
الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

- تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٩٣ .
ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧١ م)

- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ١٩٦١ .
ابن عذارى ، أبو العباس أحمد المراكشى .

- البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ليدن ١٩٤٨ - ١٩٥١
أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)

- طبقات علماء أفريقية ، طبع بيروت .
أبو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن على (ت ٧٣٢هـ /١٣٣٢م)

- المختصر فى أخبار البشر ، طبع بيروت .
ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم
(ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)

- تاريخ الدول والملوك ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ تيمور .
ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى
(ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م)

- مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ .
القزوينى ، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

- آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ .
القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

- صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩.
ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٢م)

- البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

- التنبيه والاشراف ، ليدن ١٨٩٨ م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ١٣٤٦ هـ .
المقريزى ، أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠
المويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

- نهاية الارب فى فنون الادب ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

الواقدى ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)

- فتوح مصر والاسكندرية ، ليدن ١٨٢٥ .

ابن الوردى ، زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

- تتمة المختصر ، بيروت ١٩٧٠ .

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

- معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ .

اليعقوبى ، احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

- كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩١ م .

- تاريخ اليعقوبى ، النجف ١٣٥٨ هـ .

ثانيا : المراجـــع العربيـــة :

بتلر ، الفرد . ج . :

- فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديـــد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

بيكـــــر :

- مادة (بقط) فى دائرة المعارف الاســـلامية .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :

- انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، ١٩٦٤ .

حسن أحمد محمود (الدكتور) :

- الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، القاهرة ١٩٦٣

دائرة المعارف الاســـلامية .

- الترجمـــة العربيـــة .

دريوتون وفانديـــــه :

- مصر ، ترجمة عباس بيومى ، ١٩٥٠ .

سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور)

- تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشـــور (الدكتور)

- مصر فى عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

- المغرب الكبير ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٦ .

عبد المجيـــد عابدين (الدكتور)

- تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، ١٩٥٣ .

محمد التونجـــــى

ـ عقبة بن نافـع ، بنغازى ١٩٧٥ ٠

محمد عوض محمـــد (الدكتور)

ـ السودان الشمالى ، مكانه وقبائله ، ١٩٥١ ٠

ـ الشعوب والسلالات الافريقية ، ١٩٦٥ ٠

ـ نهر النيـــل ، الطبعـــة الاولـــى ٠

مصطفى محمد مســـعد (الدكتور)

ـ الاســـلام والنوبة فى العصور الوسطى ، القـاهرة ١٩٦٠٠

نجيب ميخائيل ابراهيم (الدكتور)

ـ مصر والشرق الادنى القديـــم ، ١٩٦٢ ٠

المراجـــع الاجنبيـــــة :ـ

Arkell,
A History of the Sudan to A.D. 1821, London, 1955.

Becker,
Art. "Bakt" in ENC. of Islam, 1913.

Budge,
The Egyptian Sudan, Its History and Monuments, London, 1907.

Burckhardt,
Travels in Nubia, London, 1819.

Bury,
History of the later Roman Empire, London, 1889.

Holt,
The Nilotic Sudan (Cambridge History of Islam, 1970, vol,2.

MacMichael,
A History of the Arabs in the Sudan, 1922.

Paul,
A History of the Beja Tribes of the Sudan, Camb. 1954.

Quatremére,
Mémoires Géographiques et historiques sur l'Egypt et sur quelques Contres Voisins, 1811.

Shinnie,
The Fall of Meröe, Kush, vol. 111,(Sudan Antiquities Service Occasional Papers) 1955.

Trimingham,
Islam in the Sudan, London, 1949.